جاناثان كولر - اللغة الأدائية

ترجمة: د. مصطفى بيومي عبد السلام[1]

[1] أستاذ مشارك النقد الأدبي المشارك بكلية دار العلوم – جامعة المنيا، مصر mostafa.bayoumi@dar.miniauniv.edu.eg

الاستلام ٢٠١٦/٥/٢٥ المراجعة ٢٠١٦/٧/١٤ النشر ٢٠١٦/٨/٣٠

الملخص:
اللغة الأدائية – جاناثان كولر

في هذه الدراسة، يتعقب "جاناثان كولر" مثالًا من "النظرية" عن طريق متابعة مفهوم ازدهر في النظرية الأدبية والثقافية، وما أصابه من نجاحات تشرح السبيل لتغيير الأفكار، هذه النجاحات كانت منجذبة إلى حقل "النظرية". فمشكلة اللغة "الأدائية" تلفت التركيز على قضايا مهمة تخص المعنى، وتأثيرات اللغة، وتقود إلى أسئلة الكيان وطبيعة الذات.

@ 2016 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.

Performative Language- Jonathan Culler

Translated by: Dr. Mustafa Bayyumi Abd Al Salam [1]

[1] Associate Professor of literary criticism at the Faculty of Dar Al Ulum - Minia University,Egypt
mostafa.bayoumi@dar.miniauniv.edu.eg

Received	25/5/2016	Revised	14/7/2016	Published	30/8/2016

Abstract:

In this study, Jonathan Culler pursues an instance of 'theory' by following a concept that has flourished in literary and cultural theory and whose fortunes illustrate the way ideas change as they are drawn into the realm of 'theory'. The problem of 'performative' language brings into focus important issues concerning meaning and effects of language and leads to questions about identity and the nature of the subject.

@ 2016 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.

❖ المقدمة:

هذه ترجمة للفصل السابع من كتاب "جاناثان كولر": النظرية الأدبية، مدخل قصير جدًا [1]. وهو مدخل تاريخي يرصد بنوع دقيق مفهوم الأدائية وتحولاتها من "أوستن" مؤسس الفكرة حتى "جودث بتلر" في مقارباتها المتنوعة لأدائيات الجنوسة. لكن يجب الالتفات إلى أن هذا المدخل التاريخي الموجز للأدائيات يقرر سلسلة من القضايا المتنوعة التي تخص النظرية أو ذات صلة وعلاقة وثيقة بالنظرية. ومن حق القارئ لهذه الترجمة أن يسأل: نظرية ماذا؟ إنها ليست نظرية الأدب كما يتبادر إلى الذهن، وليست تقريرًا تنظيميًا للأدب يحدثنا عن طبيعته ومفهومه وخصائصه النوعية، ولكنها تشير بطريقة رئيسة إلى تلك المناقشات، التي برزت في الربع الأخير من القرن العشرين أو قبله بقليل في أواخر ستينياته، والتي لا تمت إلى الأدب بصلة مباشرة، ولكنها تتعلق بنصوص معقدة تتصل بالتحليل النفسي والاجتماعى والسياسي والفلسفي، وتتعلق أيضًا بمجموعة من المفكرين مثل: جاك دريدا، وميشيل فوكو، وجودث بتلر، وجايتري سبيفاك، ولوس إيرجري، وجاك لاكان، ولويز ألتوسير، وبول ريكور، وغيرهم.

إن النظرية تشير إلى مجموعة من الكتابات اللامحدودة تهتم بكل ما يخص الإنسان بداية بالمشكلات الدقيقة للفلسفة، ومرورًا بالطرائق والكيفيات المتنوعة التى تكلم بها الناس حول الجسد، والتحليلات الاجتماعية، وتاريخ الفن، وعلوم الأنثروبولوجيا، ودراسات الجنوسة، والتاريخ الفكري، والدرسات العلمية، والدرسات الثقافية، واللسانيات، وانتهاءً بدراسات الهامش والعرق والأقليات. لكن يجب الانتباه إلى أن النظرية بهذا المعني قد أسهمت في تغيير طبيعة الدرسات الأدبية، فإلى جانب الموضوعات الجمالية والنصية والبلاغية، هناك التحليلات المتنوعة لاستخدامات اللغة والثقافة والتحليل النفسي والاجتماعي، وتفكيك التعارضات الثاوية خلف الممارسات الخطابية المتنوعة.

وإذا كانت النظرية مصدر توجيه ودفع في مجال الدراسات الأدبية والنقد الأدبي، أو أنها تمتلك قوة إيعازية في المؤسسة النقدية والأدبية، لأنها تجعلنا نفكر فيما لم يتم التفكير فيه من قبل، ونكتب ما لم تتم كتابته من قبل، وترشد وتحرض إلى مناطق جديدة للجدل والتنازع النقدي والأدبي، فإن الأدائيات، كما يطرح "كولر" في كتابه: الأدبي في النظرية، التي تم اكتشافها من خلال نظرية أوستن لأفعال الكلام، قد "تم اعتمادها من قبل النقاد ومنظري الأدب لتصف، أولًا، الخطاب الأدبي، وأخيرًا تصف مجالًا متسعًا من المنتجات الخطابية، مشتملة على منتجات الكيان نفسه" [2] .

إن الأدائية في تجلياتها المختلفة تدفعنا إلى التفكير في الأدب بوصفه فعلًا يأخذ موقعه بين أفعال اللغة، ويجعلنا قادرين على الدفاع عن الأدب الذي يخلق أفعاله الخاصة وليس منطوقًا مزيفًا، أو كما يطرح "كولر" في نهاية تلك الترجمة، إن "نموذج الأدائية يقدم طرحًا معقدًا إلى حد كبير للقضايا التي يتم التصريح بها مرارًا بطريقة فجة كما في الحدود غير الواضحة بين الحقيقة والخيال. إن المشكلة في الحدث الأدبي، والأدب بوصفه فعلًا، يمكن أن تقدم نموذجًا للتفكير في الأحداث الثقافية على وجه العموم.

@ 2016 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.

اللغة الأدائية – جاناثان كولر

في هذه الدراسة، سأتعقب مثالًا من "النظرية" عن طريق متابعة مفهوم ازدهر في النظرية الأدبية والثقافية، وما أصابه من نجاحات تشرح السبيل لتغيير الأفكار، هذه النجاحات كانت منجذبة إلى حقل "النظرية". فمشكلة اللغة "الأدائية" تلفت التركيز على قضايا مهمة تخص المعنى، وتأثيرات اللغة، وتقود إلى أسئلة الكيان وطبيعة الذات.

❖ أدائيات "أوستن":

إن مفهوم المنطوق الأدائي Performative Utterance تم تطويره في الخمسينيات من القرن العشرين من قبل الفيلسوف "ج. ل. أوستن" J. L. Austin. فلقد اقترح "أوستن" تمييزًا بين نوعين من المنطوقات: المنطوقات الإخبارية *Constative* utterances ، مثل: "وعد جورج أن يأتي"، التي تصنع بيانا ما، وتصف الحالة التي عليها الأمور ويمكن أن تكون صحيحة أو خاطئة. أما النوع الثاني: المنطوقات الأدائية أو الأدائيات *performatives*، فهي ليست صحيحة أو خاطئة، وتؤدي، بطريقة فعلية، الفعل الذي تتصل المنطوقات به. أن تقول: "أعدك أن أدفع لك"، فإن تلك الجملة لا يمكن أن تصف الحالة التي عليها الأمور، ولكنها تؤدي فعل الوعد، إن المنطوق هو الفعل نفسه. ويرى "أوستن" أنه عندما يسأل القس أو الموظف الحكومي المختص في حفل زفاف: "هل تأخذ هذه المرأة لكي تكون زوجة شرعية لك؟"، فإنني أجيب" "أفعل" 'I do'، إنني لا أصف أي شيء، فأنا أفعل ذلك، "أي إنني لا أنقل خبرًا عن زواج ما: إنني منغمس فيه". فعندما أقول: "أفعل"، فإن هذا المنطوق الأدائي ليس صحيحًا وليس خاطئًا. إنه قد يكون ملائمًا أو غير ملائم، معتمدًا على الظروف؛ إنه قد يكون تعبيرًا مناسبًا أو موفقًا felicitous أو تعبيرًا غير مناسب أو موفق infelicitous في اصطلاح "أوستن". وإذا قلت "أفعل"؛ فإنني قد لا أنجح في الزواج: إذا كنت متزوجًا من قبل على سبيل المثال، أو إذا كان الشخص الذي يؤدي المراسم أو الشعائر الخاصة بالزواج ليس مخولًا له أن يؤدي تلك المراسم في هذا المجتمع. إن المنطوق سوف يخفق 'misfire' عن إحداث المطلوب، كما يقول "أوستن". إن المنطوق سوف يكون كئيبًا unhappy (غير مناسب أو موفق)، وهكذا، بلا شك، ستكون العروس أو العريس، أو ربما كلاهما.

إن المنطوقات الأدائية لا تصف الفعل الذي تعينه ولكنها تؤديه، إنها تكون من خلال النطق بهذه الكلمات: أعد، أو أطلب، أو أتزوج. إن اختبارًا بسيطًا للمنطوقات الأدائية هو الإمكانية لإضافة "hereby" في الإنجليزية قبل الفعل، من حيث إن "hereby" تعني "النطق بتلك الكلمات":

- 'I hereby promise'.
- 'We hereby declare our independence'.
- 'I hereby order you . . .'

ولكن لا يمكن أن أنطق بـ: 'I hereby walk to town'. فلا يمكن أن أؤدي فعل السير عن طريق النطق بكلمات معينة.

إن التمييز بين المنطوقات الأدائية والإخبارية يلفت الانتباه إلى اختلاف مهم بين أنواع المنطوقات، وينطوي على تأثير كبير لتنبيهنا إلى حجم ما تؤديه اللغة من أفعال وليس بالأحرى ما تقرره اللغة عنها فحسب. ولكن بما أن "أوستن" يندفع أبعد في تقريره للأدائية، فإنه يواجه بعض الصعوبات. فيمكنك أن ترتب أو تصف قائمة بـ "الأفعال الأدائية" التي تؤدي من خلال المتكلم (الشخص الأول) للفعل المضارع (أعد،

@ 2016 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.

أطلب، أعلن) الفعل الذي تدل عليه. ولكن لا يمكنك أن تحدد الأدائية عن طريق سماع الأفعال التي تسلك هذه الطريقة؛ لأنك من خلال الظروف الفعلية يمكن أن تؤدي فعل الأمر لشخص ما بأن يتوقف، عن طريق صيحة "توقف" stop، وليس بالأحرى أن تقول:'I hereby order you to stop'. إن المقولة الإخبارية الواضحة تمامًا: "سوف أدفع لك غدًا" "يمكن أن تكون، طبقًا لشروط ملائمة، وعدًا بأن يدفع لك، وليس بالأحرى وصفًا أو تنبوءًا مثل: "سوف يدفع لك غدًا" 'he will pay you tomorrow'. ولكن إذا ما تسمح لوجود تلك "الأدائيات المضمنة" 'implicit performatives'، من حيث إنه ليس ثمة فعل أدائي بطريقة صريحة، فإنه يجب عليك أن تسلم بأن أي منطوق يمكن أن يكون منطوقًا أدائيًا مضمنًا. فجملة: "القطة على الحصير" 'The cat is on the mat'، التي تعد منطوقك الإخباري الأساسي، يمكن أن يتم رؤيتها بوصفها رواية موجزة لـ: 'I hereby affirm That the cat is on the mat'، أي منطوقًا أدائيًا ينجز فعل التأكيد أو الإثبات لما يشير إليه. إن المنطوقات الإخبارية، أيضًا تؤدي أفعالًا مثل: أفعال الحالة، والتأكيد أو الإثبات، والوصف، وهلم جرا. إن الأمر يسفر عن أنها نوع من الأدائية، وهذا يصبح ذا مغزى في محصلته النهائية.

❖ الأدائيات والأدب:

لقد قبل نقاد الأدب فكرة الأدائية بوصفها أحد الأشياء التي تساعد على تمييز خصائص الخطاب الأدبي. وأكد المنظرون طويلًا على أننا يجب أن نعتني أو نهتم بما تفعله اللغة الأدبية مثلما نعتني بما تقوله، وأن مفهوم الأدائية يقدم تبريرًا لغويًا وفلسفيًا لهذه الفكرة: أي أن ثمة صنف من المنطوقات تفعل شيئًا ما في الغالب. إن المنطوق الأدبي، مثل الأدائية، لا يشير إلى الحالة التي كانت عليها الأمور سلفًا، وليس صحيحًا أو خاطئًا. ويخلق المنطوق الأدبي، أيضًا، الحالة لشئونه أو أموره التي يشير إليها في العديد من الوجوه. إنه، أولًا وببساطة شديدة، يُحدث أو يُوجد (يخلق) الشخصيات وأفعالها على سبيل المثال. إن بداية "عوليس" *Ulysses* لـ "جويس" Joyce لا تشير إلى الحالة التي كانت عليها الأمور سلفا، ولكن تخلق هذه الشخصية وهذا الموقف. إن الأعمال الأدبية، ثانيًا، تُحدث أو تُوجد (تخلق) الأفكار والمفاهيم التي تنشرها. فـ 'La Rochefoucauld' يزعم أن لا أحد يمكن أن يفكر في وجود الحب إذا لم يقرأ عنه في الكتب، كما أن فكرة الحب الرومانسي (وتمركزيته في حيوات الأفراد) هي فكرة قابلة للجدل والخلاف منتشرة في الإبداع/ الخلق الأدبي. إن الروايات نفسها بلا ريب، من "دون كيشوت" *'Don quioxte'* إلى " مدام بوفاري" *'Madame Bovary'*، تلوم على الأفكار الرومانسية في كتب أخرى.

إن الأدائية، باختصار، تركز الانتباه على استخدام اللغة بوصفها نشاطًا وصناعة للعالم تشبه اللغة الأدبية، الذي كان يتم النظر إليها سلفًا على أنها شيء هامشي، وتساعدنا على أن نفكر في الأدب بوصفه فعلًا أو حدثًا. إن تصور الأدب بوصفه منطوقًا أدائيًا يؤدي إلى دفاع عن الأدب: إن الأدب ليس مقولات زائفة وتافهة، ولكن يأخذ موقعه بين أفعال اللغة التي تحول أو تبدل transform العالم، خالقة الأشياء التي تحددها.

إن الأدائية متصلة بالأدب من خلال طريق ثان. فهي، على الأقل من حيث المبدأ، تقطع الصلة بين المعنى وقصد المتكلم؛ لأن أي فعل أؤديه بكلماتي ليس محددًا عن طريق قصدي، ولكن عن طريق التقاليد الاجتماعية واللغوية. ويلح "أوستن" على أن المنطوق لا ينبغي أن تتم دراسته بوصفه العلامة المادية الخارجية outward sign لحدث داخلي ما، تمثله تلك العلامة بطريقة صحيحة أو خاطئة. فإذا قلتُ: "أعدك" 'I promise' طبقًا لشروط ملائمة، فلقد وعدتُ، وأديتُ فعل الوعد، أيا ما يكون القصد الذي وضعته في رأسي في ذلك الوقت. ولأن المنطوقات الأدبي هي أيضًا أحداث، من حيث إن قصد المؤلف لا يتم التفكير فيه على أنه يحدد المعنى، فإن نموذج الأدائية يبدو وثيق الصلة بطريقة حاسمة.

@ 2016 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.

ولكن إذا كانت اللغة الأدبية هي لغة أدائية، وإذا كان أي منطوق أدائي ليس صحيحًا أو خاطئًا، ولكنه تعبير ملائم / مناسب أو غير ملائم / غير مناسب؛ فماذا يعني بالنسبة لأي منطوق (كلام) أدبي أن يكون ملائمًا/ مناسبًا أو غير ملائم / غير مناسب؟ إن هذا الأمر ينتهي إلى أن يكون قضية معقدة. فمن ناحية أولى، قد تكون الملاءمة/ المناسبة *felicity* بالضبط اسمًا آخر لما يهتم به النقاد على وجه العموم. فعندما نواجه افتتاح سوناتا "شكسبير": 'My mistress' eyes are nothing like the sun'، فإننا لا نسأل إن كان هذا المنطوق صحيحًا أو خاطئًا، ولكن نسأل عما يفعله، وكيف يتلاءم مع باقي القصيدة، وإن كان يشتغل بطريقة ناجحة/ ملائمة مع السطور الشعرية الأخرى. إن هذا قد يكون أحد مفاهيم الملاءمة/ المناسبة. ولكن نموذج الأدائية، أيضًا، يوجه عنايتنا إلى التقاليد التي تمكن أي منطوق لكي يكون وعدًا أو قصيدة، قل مثلًا التقاليد الخاصة بالسوناتا. إن التلاؤم/ التناسب felicitousness لأي منطوق (كلام) أدبي ربما يتضمن، من ثم، علاقته بالتقاليد الخاصة بنوع أدبي ما. هل هذا المنطوق يستجيب أو يذعن ومن ثم ينجح في كونه سوناتا، وليس بالأحرى يخفق في ذلك؟ والأكثر من ذلك، ربما يتخيل المرء أن أي تأليف أدبي يكون ملائمًا فقط عندما يصبح، بطريقة تامة، أدبًا عن طريق وجوده منشورًا، ومقروءًا، ومقبولًا بوصفه عملًا أدبيًا، مثل أي رهان يصبح رهانًا عندما يكون مقبولًا فقط. إن تصور الأدب بوصفه منطوقًا أدائيًا يفرض علينا أن نتأمل المشكلة المعقدة لما يكون خاصًا بسياق أدبي للعمل.

❖ أدائيات "دريدا":

أما المرحلة التالية المهمة في النجاحات الخاصة بالأدائية تأتي عندما توقف "جاك دريدا" Jacques Derrida عند فكرة "أوستن". لقد ميز "أوستن" الأدائيات الجدية serous performatives التي تنجز شيئًا ما مثل الوعد أو الزواج، والمنطوقات الهزلية أو اللاجدية 'non-serious'. ويرى أن تحليله يطبق على الكلمات المنطوقة بطريقة جادة: "يجب عليَّ ألا أكون مازحًا، مثلًا، أو أكتب قصيدة". إن منطوقاتنا الأدائية، سواء كانت ملائمة أو غير ذلك، يمكن أن يتم فهمها بوصفها منتجة من خلال ظروف أو ملابسات معتادة. ولكن "دريدا" يناقش أن ما طرحه "أوستن" جانبًا من خلال التوسل بـــ "الظروف أوالملابسات المعتادة" 'ordinary circumstances' هو الطرق المتعددة التي يمكن أن تكون قطع من اللغة مكررة، من خلالها، بطريقة غير جادة، لكنها جادة أيضًا، بوصفها أمثولة ما أو شاهد ما على سبيل المثال. هذه الإمكانية لوجود المكرر في ظروف وملابسات جديدة هي شيء جوهرى لطبيعة اللغة؛ إن أي شيء لا يمكن أن يكون مكررًا من خلال نمط غير جدي 'non-serious fashion'، فإنه قد لا يكون لغة، ولكنه علامة ما mark مرتبطة بطريقة معقدة بموقف طبيعي. إن إمكانية التكرار هي شيء أساسي للغة، والأدائيات على وجه الخصوص يمكن أن تشتغل فقط إذا تم إدراكها بوصفها نسخ من الصيغ المعتادة أو المألوفة أو شواهد منها، مثل: "أفعل، I do" "أعد، I promise" (إذا قال العريس: "نعم، ok" وليس بالأحرى "أفعل"، فإنه ربما لا ينجح في الزواج). ويتساءل "دريدا": "هل يمكن لأي منطوق أدائي أن ينجح إذا كانت صيغته لا تكرر شكلًا منتظمًا أو متسقًا "codified" أو يمكن تكراره iterable، بعبارة أخرى: إذا كانت الصيغة التي أنطق بها لكي أفتتح اجتماعًا، يطلق سفينة قبل إنزالها الماء أو يباشر الزواج، لا تكاد تكون متطابقة بمثل ما تتوافق مع نموذج متكرر، وإذا كانت بالتالي لا تكاد تكون متطابقة بوصفها نوعًا ما من الاستشهاد؟". إن "أوستن" يهمل الشاذ anomalous، أو غير الجدي، أو الحالات الخاصة الاستثنائية، لما يطلق عليه "دريدا": "قدرة تكرارية عامة" 'general iterability'، التي ينبغي أن يتم التفكير فيها بوصفها قانونًا للغة. لأن الخصوصيات العامة والجوهرية لشيء ما أن يكون علامة ما، ويجب أن يكون قادرًا على أن يكون مستشهدًا به ومكررًا في جميع أنواع الظروف والملابسات، مشتملًا على الظروف والملابسات غير الجدية. إن اللغة أدائية بالمعنى الذي لا تنقل المعلومات فقط، ولكنها تؤدي أفعالًا عن طريق تكرارها للممارسات الخطابية المؤسسة أو طرق لفعل الأشياء. إن هذا سيكون مهمًا بالنسبة للنجاحات الأخرى للأدائية.

@ 2016 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.

ويربط "دريدا"، أيضًا، الأدائية بالمشكلة العامة للأفعال التي تنشيء وتدشن، أي الأفعال التي تخلق شيئًا ما جديدًا، في المجال السياسي علاوة على المجال الأدبي. ويمكن أن نتساءل عن: ماذا تكون العلاقة بين فعل سياسي، مثل إعلان الاستقلال الذي يخلق موقفًا جديدًا، والمنطوقات (الكلام) الأدبية التي تحاول أن تخترع شيئا ما جديدًا، من خلال أفعال ليست مقولات إخبارية ولكنها أدائية مثل الوعود؟ إن كلًا من الفعل السياسي والأدبي يعتمد على اتحاد معقد ومتناقض للأدائي والإخباري، ولكي ينجح فإن الفعل يجب أن يقنع عن طريق الإشارة إلى الحالة التي عليها الأمور، ولكن من حيث إن النجاح ينطوي على خلق الشرط الذي يشير إليه. فالأعمال الأدبية تزعم أنها تخبرنا عن العالم، ولكن إذا نجحت فإنها تفعل ذلك عن طريق خلق الشخصيات والأحداث التي ترويها. وشيء ما شبيه بذلك في اشتغال الأفعال الافتتاحية/ التدشينية في المجال السياسي؛ فعلى سبيل المثال، إن الجملة الأساسية (المفتاح) في "إعلان الاستقلال" 'Declaration of Independence' للولايات المتحدة تجرى على هذا النحو: "بناء على ذلك، فإننا نذيع ونعلن، بطريقة جدية، أن تلك المستعمرات المتحدة هي ولايات حرة ومستقلة، ويجب أن تكون كذلك من حقها". إن الإعلان عن أن هذه المستعمرات هي ولايات حرة هو فعل أدائي مفترض أنه يخلق واقعًا جديدًا يشير إليه، ولكن تعزيز هذا الزعم يكون مرتبطًا بالتأكيد الإخباري على أنها (أي تلك المستعمرات) يجب أن تكون ولايات مستقلة.

❖ العلاقات الأدائية-الإخبارية:

إن التوتر بين الأدائية والإخبارية يظهر، أيضًا، بطريقة واضحة في الأدب؛ حيث إن الصعوبة التي يواجهها "أوستن" لفصل الأدائي والإخباري يمكن أن يتم رؤيتها بوصفها ملحمًا حاسمًا لتوظيف اللغة. فإذا كان كل منطوق هو أدائي وإخباري، مشتملًا، على الأقل، على تأكيد مضمن لما تكون عليه حالة الأمور، وعلى فعل لغوي، فإن العلاقة بين ما يقوله منطوق ما وما يفعله ليست تناغمية أو تعاونية بطريقة ضرورية. ولكي نرى ما يكون متشابكًا في المجال الأدبي، دعنا نعود إلى قصيدة "روبرت فروست" "مكامن السر":

نحن نرقص دائريًا في حلقة، ونفترض،
ولكن السر يكمن في المنتصف، ويعرف..

هذه القصيدة تعتمد على التعارض بين الافتراض والتعرف. ولكي نكتشف ماذا يكون موقف القصيدة التي تنزع إلى هذا التعارض، وما نوع القيم التي تصل القصيدة بشروطها المتعارضة، فربما نتساءل إن كانت القصيدة نفسها في حالة الافتراض أو في حالة التعرف. هل القصيدة تفترض مثلما نفترض أننا نرقص دائريًا، أو هل القصيدة تعرف مثلما يعرف السر؟ وربما نتخيل أن القصيدة، بوصفها منتجًا للخيال الإنساني، قد تكون مثالًا للافتراض، وحالة للرقص دائريًا، ولكن حكمتها gnomic وخصوصيتها المَثَلية proverbial character، وإعلانها الجرئ الواثق أن السر "يعرف" يجعلها تبدو في الواقع أنها تعرف إلى حد بعيد. وبالتالى لا يمكن لنا أن نتأكد من ذلك. ولكن ماذا تعرض القصيدة لنا عن التعارض؟ حسنًا، إن السر، الذي هو شيء ما يعرفه المرء أو لا يعرفه (أي موضوع التعرف) يصبح هنا، عن طريق الكناية أو التجاور، تعرف الذات the subject of knowing، أي أن ما يعرف ليس بالأحرى ما يكون معروفًا أو لا يكون. إن القصيدة، عن طريق استغلال وتشخيص الكينونة (السر)، تؤدي عملية بلاغية تروج لموضوع المعرفة بالنسبة إلى وضع الذات. ومن ثم تعرض القصيدة لنا أن أية فرضية بلاغية يمكن أن تنتج العارف/المدرك the knower، ويمكن أن تجعل السر داخل ذات ما، وشخصية ما في هذه الدراما الصغيرة. إن السر الذي يعرف منتج عن طريق فعل ما للافتراض يحرك السر من مكان الموضوع (شخص ما يعرف سرًا) إلى مكان الذات (يعرف السر)؛ وبالتالى فإن القصيدة تعرض أن إصرارها الإخباري على أن "السر

@ 2016 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.

يعرف" يعتمد على افتراض أدائي: أي الافتراض الذي يجعل السر الموجود داخل الذات مفترض أنه يعرف. إن الجملة تقول إن السر يعرف، ولكنها تعرض أن هذا هو فرضية ما.

إن التناقض بين الإخبارية والأدائية، عند تلك المرحلة في تاريخ الأدائية، تم إعادة تحديده أو تعيينه: إن الإخبارية هي لغة تزعم أنها تمثل الأشياء كما تكون، وتسمى الأشياء التي تكون موجودة من قبل، والأدائية هي العمليات البلاغية، أي أفعال اللغة، التي تشوه هذا الزعم عن طريق فرض المقولات اللغوية، خالقة الأشياء، منظمة العالم، وليس بالأحرى تمثيل ما يكونه بطريقة بسيطة. ويمكن أن نعين هنا ما يطلق عليه "معضلة" 'aporia' بين اللغة الأدائية والإخبارية. إن أية "معضلة" هي "المأزق" impass لتأرجح أو تذبذب لا يمكن تقريره، مثلما نقول: إن الدجاجة تأتي من البيضة، ولكن البيضة تأتي من الدجاجة. إن الطريق الوحيد لكي نزعم أن اللغة تؤدي وظيفة تشكيل العالم أدائيًا يتم من خلال منطوق إخبارى ما، مثل: "اللغة تشكل العالم"، ولكن على العكس من ذلك، ليس ثمة سبيل أن نزعم أن شفافية اللغة الإخبارية تُستثنى من أي فعل كلام. إن الأخبار، التي تؤدي أفعال الحالة بالضرورة، تزعم أنها لا تفعل شيئًا ولكن تعرض الأشياء فقط كما تكون، ومن ثم إذا أردت أن تعرض النقيض من ذلك (أي أن تلك الادعاءات لتمثيل الأشياء كما تكون تفرض أو تشترط مقولاتها على العالم)، فإنه ليس لديك سبيل أن تفعل هذا إلا من خلال ادعاءات عما تكون الحالة أو لا تكون. إن النقاش/ الجدل على أن فعل الحالة أو الوصف أدائي، في الحقيقة، يجب أن يأخذ شكل التعبيرات الإخبارية.

❖ أدائيات بتلر:

والنقطة الأخيرة في هذا التاريخ الموجز للأدائية هو بزوغ ما يطلق عليه: النظرية الأدائية للجنوسة Gender والجنسانية/ النشاط الجنسي Sexuality، في النظرية النسائية ودراسات الشواذ أو المثليين gay and lesbian studies. والشخصية الرئيسة هنا هي الفيلسوفة الأمريكية "جودث بتلر" Judith Butler، وكتبها: "مشكلة الجنوسة: النسوية وتدمير الكيان" (1990) ، و "الأجساد تلك هي المسألة" (1993)، و"الكلام المثير: سياسات فعل الكلام" (1997)، التي كان لها تأثير عظيم في مجال الدراسات الأدبية والثقافية، وبنوع خاص في النظرية النسائية، وفي بزوغ مجال دراسات الشواذ أو المثليين. إن مسمى "نظرية الشواذ" queer theory كان مقررًا من قبل دراسات الطليعيين للشواذ، فلقد كان عملهم في النظرية الثقافية متصل بالحركات السياسية الخاصة بتحرير الشواذ. إنها تتناوله بوصفه مسماها الخاص، وتصد المجتمع عن الإهانة الأكثر شيوعًا التي يواجهها المثليون homosexuals؛ فالمغامرة في استخدام النعت "شاذ! Queer!" هي أن التباهي بهذا المسمى يمكن أن يغير معناه، ويجعله شارة للشرف وليس بالأحرى إهانة ما. فهنا مشروع نظرى يحاكى تيكتيكات tactics المنظمات النشطة الواضحة تمامًا، المنشغلة بالحرب ضد الأيدز AIDS (جماعة Act-Up) على سبيل المثال، التي تستخدم في مجاهراتها (مظاهراتها) شعارات مثل: "نحن هنا، نحن شواذ، تعود أن تستخدمه".

إن كتاب "بتلر" "مشكلة الجنوسة" يتناول القضية بما يتصل بالفكرة الشائعة في الكتابة النسائية، وهي أن السياسة النسائية تتطلب تصورًا عن الكيان النسوي وعن الملامح الجوهرية التي تشترك فيها النساء بوصفهم نساء، والتي تمنحهم اهتمامات وأهداف مشتركة. على النقيض من ذلك، إن المقولات الأساسية للكيان بالنسبة إلى "بتلر" هي منتجات ثقافية واجتماعية؛ فهي أشبه ما تكون بالنتيجة للتعاون السياسي أكثر من كونها وضعًا اجتماعيًا ممكننا لذلك التعاون. إنها تخلق فاعلية الطبيعي (تذكر "أريتا فرانكلين" عندما تغنى: أنت تجعلنى أشعر مثل امرأة طبيعية)، كما أنها تهدد وتتوعد عن طريق فرض المعايير (أي تحديدات المعنى لما يمكن أن يكون امرأة) لاستبعاد هؤلاء الذين لا يقرون بذلك. في كتابها "مشكلة الجنوسة" تقترح "بتلر" أننا نتأمل الجنوسة بوصفها أدائية، وبهذا المعنى فإن الشخص ليس ما يكونه، ولكن ما يفعله. إن أي

@ 2016 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.

رجل ليس هو ما يكونه ولكن شيئًا ما يفعله، ووضعًا ما يحدثه، فجنوستك مخلوقة عن طريق أفعالك، بمعنى أن وعدًا ما هو مخلوق عن طريق فعل الوعد. إنك تصبح رجلًا أو امرأة عن طريق الأفعال المكررة، التي مثلما طرح "أوستن" في أدائياته، تعتمد على التقاليد/ المواضعات الاجتماعية، الطرق المألوفة/ المعتادة لفعل شيء ما في ثقافة ما. فثمة أشياء معتادة ومألوفة تمامًا، أي طرق مؤسسة اجتماعيًا للوعد، والمراهنة، وإعطاء الأوامر، والزواج، ولذلك فإن ثمة طرق مؤسسة اجتماعيًا لوجود رجل ما أو لوجود امرأة ما.

‘The one on the left is cute.’

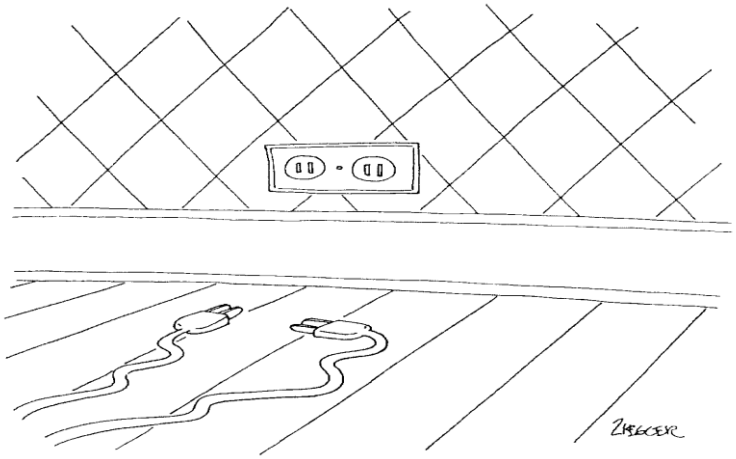

هذا لا يعني أن الجنوسة هي اختيار، دور تقوم به، مثلما تختار الملابس لكي ترتديها في الصباح. إن ذلك قد يطرح أن ثمة ذاتا غير مجنسة ungendered subject سابقة على الجنوسة التي تختارها، ولكن في الحقيقة أن تكون ذاتا البتة هو أن تكون مجنسًا gendered: أي أنك لا يمكن، من خلال هذا النظام للجنوسة، أن تكون شخصًا من غير وجود الذكر أو الأنثى. فأنت "مذعن إلى الجنوسة، ولكنك ذاتًا معدة أو مصنوعة عن طريق الجنوسة"، تكتب "بتلر" في كتابها: "الأجساد تلك هي المسألة"، "إن الأنا "I" لا تسبق ولا تتبع عملية التجنيس gendering هذه ولكن تظهر فقط داخلها، وبوصفها نسيج علاقات الجنوسة نفسها". إن أدائية الجنوسة performativity of gender لا ينبغي أن يتم التفكير فيها بوصفها فعلًا فرديًا، شيئًا ما منجزًا عن طريق فعل مفرد، بالأحرى هي "الممارسة المتكررة والمقتبسة" ‘the reiterative and citational practice’، التكرار الإلزامي لمعايير الجنوسة التي تنشط وتقيد الذات المجنسة، ولكنها أيضًا، المصادر التي تكون المقاومة والتدمير والإزاحة مشكلة منها.

من وجهة النظر هذه، إن المنطوق: "إنها بنت" أو "إنه ولد"، الذي يكون أي طفل محتفى به عن طريقه في المجتمع البشرى تقليديًا، هو منطوق إخبارى (صحيح أو خاطئ، طبقًا للموقف) أقل من كونه المنطوق الأول في سلسلة ممتدة للأدائيات التي تخلق الذات التي تعلن عن وصولها. إن تسمية "البنت" تبدأ بعملية "تأنيث" girling مستمرة، أي التشكيل لبنت ما، من خلال تقرير التكرار الإلزامي لمعايير الجنوسة، أي "الاقتباس القسري للمعيار". فلكي تكون ذاتًا البتة، يمكن أن يتم منحك تقرير التكرار هذا، ولكن، وهذا يعد شيئًا مهمًا بالنسبة لـ "بتلر"، أي تقرير لا نتمكن من تنفيذه تمامًا بمقتضى الاستثناءات، لهذا السبب فإننا لا نقر تمامًا معايير الجنوسة أو المبادئ التي نكون ملزميين بتقريبها. في تلك الفجوة، من خلال الطرق المختلفة لتنفيذ "تقرير" الجنوسة، تكمن الإمكانيات من أجل المقاومة والتغيير.

وتنكب الأهمية هنا على طريق القوة الأدائية للغة الذي يأتى من تكرار المعايير السابقة والأفعال السابقة. ولذلك، فإن قوة الإهانة أو التحقير "شاذ!" لا تأتي من قصد أو سلطة المتكلم، الذي يكون أكثر شبهًا

@ 2016 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.

بأحمق ما غير معروف تمامًا للضحية، ولكن تأتي من حقيقة أن الصيحة "شاذ" تكرر الإهانات من الماضي، استفسارات/ استجوابات الخطاب interpellations أو أفعاله التي تنتج الذات الشاذة جنسيًا من خلال الخزى أو الذل abjection المتكرر (مصطلح abjection يتضمن معالجة شيء ما بوصفه خارج على الحظيرة: "أي شيء ولكنه كذلك!") وترى بتلر أن:

"مصطلح "شاذ" يستمد قوته تمامًا من خلال المكرر... والقوانين الموضوعة موضع التنفيذ التي يكون عن طريقها التزام اجتماعى ما بين الجماعات الخائفة من الجنسية المثلية homophobic communities مشكلًا عبر الزمن. إن الاستفسار/ الاستجواب يسترجع استفسارات/ استجوابات الماضي، ويقيد المتكلمين، وكأنهم تكلموا في انسجام عبر الزمن. في هذا المعنى إنه يكون دائمًا كورس chours متخيل يوبخ بطريقة ساخرة "الشاذ"!".

إن ما يعطى الإهانة قوتها الأدائية ليس التكرار نفسه، ولكن الحقيقة التي ترى أنها يتم التسليم بها أو إدراكها بوصفها مطابقة لنموذج ما، أي معيار ما، ويكون متصلًا بتاريخ الإبعاد والمنع exclusion. إن المنطوق يتضمن أن المتكلم هو الناطق بلسان المجموع لما يكون "مستقرًا" 'normal'، ويعمل على تشييد المخاطب بوصفه خارج الحظيرة. إنه التكرار، الاقتباس من صيغة ما تكون متصلة بالمعايير التي تفرز تاريخ الاضطهاد، الذي يعطى قوة خاصة وفسادًا أخلاقيًا لنوع آخر من الإهانات المتبذلة مثل "nigger" أو "kike". إنها تكدس قوة السلطة من خلال التكرار أو الاقتباس من سابق، مجموعة الممارسات السلطوية الجديرة بالاعتماد والقبول، متكلمة كأنها بصوت جميع توبيخات الماضي.

ولكن صلة الأدائية بالماضي تتضمن الإمكانية لتحريف سلطان الماضي ونفوذه أو توجيهه وجهة جديدة، عن طريق محاولة القبض على العبارات التي تحمل دلالة ظالمة وتوجيهها وجهة جديدة، مثلما تبنى الشواذ أنفسهم مصطلح "شواذ". إنه لا يمكن أن تصبح مستقلًا بذاتك عن طريق اختيار اسمك: إن الأسماء، دائمًا، تحمل ثقلًا تاريخيًا، ومتوقفة على استخدامات الآخرين التي سوف تشكلها في المستقبل. إنك لا يمكن أن تتحكم في المصطلحات التي تختارها لتسمية نفسك، ولكن الخصوصية التاريخية للعملية الأدائية تخلق الإمكانية للنضال السياسي.

❖ الركائز والتضمينات:

يبدو واضحًا الآن أن المسافة بين البداية والنهاية المنظمة لهذه القصة عظيمة جدًا. فبالنسبة لـ "أوستن"، إن مفهوم الأدائية يساعدنا على أن نفكر في شكل معين للغة كان مهملًا من جانب الفلاسفة السابقين، وبالنسبة لـ "بتلر"، هي نموذج ما للتفكير في العمليات الاجتماعية المهمة من حيث إنه يطرح عددًا من المسائل أو القضايا المتنازع عليها:

1) **طبيعة الكيان وكيف يكون منتجًا.**
2) **وظيفة المعايير الاجتماعية.**
3) **المشكلة الأساسية لما نطلق عليه اليوم "الفعل/ التأثير" agency في الإنجليزية: إلى أي مدى وتحت أي شروط يمكن أن أكون ذاتًا مسؤولة تختار أفعالها.**
4) **العلاقة بين الفرد والتغيير الاجتماعي.**

هكذا فإن ثمة اختلافًا كبيرًا بين ما يكون متنازعًا عليه بالنسبة لـ "أوستن" وبالنسبة لـ "بتلر". ويبدو أن لديهما، في المقام الأول، وجهة نظر للأنواع المختلفة للأفعال. إن اهتمام "أوستن" ينصب على كيف أن

@ 2016 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.

التكرار لصيغة ما على حادثة واحدة يشيد حدوث شيء ما (مثلما تشيد وعدًا). وبالنسبة لـــ "بتلر"، إن هذا يكون حالة خاصة للتكرار الإلزامي والضخم الذي ينتج الوقائع التاريخية والاجتماعية (أنت تصبح امرأة).

هذا الاختلاف، في الحقيقة، يعود بنا إلى المشكلة التي تدور حول طبيعة الحدث الأدبي، من حيث إن ثمة طريقين للتفكير بوصفه حدثًا أدائيًا أيضًا. فيمكن أن نقول إن العمل الأدبي ينجز فعلًا فرديًا خاصًا. إنه يخلق تلك الحقيقة التي ينجزها العمل وجمله بوصفها شيئًا ما على وجه الخصوص في ذلك العمل. فيما يخص كل عمل، فيمكن للمرء أن يحاول تعيين ما ينجزه العمل، وما تنجزه أجزاؤه، مثلما يمكن للمرء أن يحاول أن يوضح بعبارات لا لبس فيها ما يكون وعدًا من خلال فعل خاص للوعد. ويمكن للمرء أن يقول إن هذا نسخة "أوستينية" Austinian للحدث الأدبي.

ولكن على الجانب الآخر، يمكن أن نقول، أيضًا، إن أي عمل ينجح ويصبح حدثًا عن طريق تكرار ضخم يتبنى المعايير وربما يغير الأشياء. فإذا حدثت رواية ما، فإنها تفعل ذلك لأنها، من خلال خصوصيتها، تخلق عاطفة تمنح الحياة إلى هذه الأشكال، من خلال أفعال القراءة والتذكر، مكررة انعطافها على تقاليد الرواية، وربما تخلق استبدالًا في المعايير أو الأشكال التي يستمر القراء في مواجهة العالم من خلالها. إن أية قصيدة قد تختفي تمامًا بدون أثر ما "trace"، ولكنها، أيضًا، قد تترك أثرًا في الذاكرة، وتحدث أفعال التكرار. فأدائيتها ليست فعلًا فرديًا منجزًا بطريقة نهائية، ولكن تكرارًا يمنح الحياة إلى الأشكال التي تكررها.
إن مفهوم الأدائية، في ذلك التاريخ الذي أوجزته، يجمع سلسلة من القضايا التي تكون مهمة بالنسبة إلى "النظرية"، ويمكن أن ندرجها فقط فيما يلي:

أولًا: كيف نفكر في تشكيل دور اللغة: هل نحاول أن نحددها ببعض أفعال خاصة حيث نعتقد أنه يمكن أن نقول بثقة ما تفعله، أو نحاول أن نتفهم النتائج المتسعة للغة من حيث إنها تنظيم مواجهاتنا بالعالم؟

ثانيًا: كيف ينبغي أن نتصور العلاقة بين التقاليد/ المواضعات الاجتماعية والأفعال الفردية؟ إنه يغري أن نتصور، ولكن ببساطة شديدة، أن التقاليد/ المواضعات الاجتماعية مثل الخلفية المسرحية scenery، أو الخلفية المعرفية التي تقف في مقابلة مع ما نقرر كيف نفعله. إن نظريات الأدائية تقدم تقريرات جيدة عن شرك المعيار والفعل، سواء كانت تعرض التقاليد بوصفها الشرط لإمكانية الأحداث، كما يطرح "أوستن"، أو كانت، أيضًا، كما تطرح "بتلر"، تنظر إلى الفعل بوصفه تكرارًا إلزاميا قد ينحرف، على الرغم من ذلك، عن المعايير. إن الأدب، الذي يكون مفترضًا أنه يصنع شيئًا جديدًا في فضاء التقاليد، يستلزم طرحًا أدائيًا للمعيار والحدث.

ثالثًا: كيف ينبغي للمرء أن يتصور العلاقة بين ما تفعله اللغة وما تقوله؟ إن هذا يعد مشكلة أساسية للأدائية: هل يمكن أن يكون هناك انصهار تناغمي للفعل والقول، أو هل هناك توتر في هذا المقام لا يمكن تجنبه يحكم ويعقد النشاط النصي جميعه؟

وأخيرًا: كيف ينبغي أن نفكر في الحدث في عصر ما بعد الحداثة هذا؟ لقد أصبح شائعًا ومألوفًا في الولايات المتحدة، على سبيل المثال، في عصر الإعلام الجماهيري، أن تقول إن ما يحدث في التليفزيون هو حدث حقيقي. إن الحدث الإعلامي هو حدث حقيقي يؤخذ بعين الاعتبار، سواء كانت الصورة تتطابق مع حقيقة ما أو لا. إن نموذج الأدائية يقدم طرحًا معقدًا إلى حد كبير للقضايا التي يتم التصريح بها مرارًا بطريقة فجة كما في الحدود غير الواضحة بين الحقيقة والخيال. إن المشكلة في الحدث الأدبي، والأدب بوصفه فعلًا، يمكن أن تقدم نموذجًا للتفكير في الأحداث الثقافية على وجه العموم.

@ 2016 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.

المراجع

[1] Culler, Jonathan (2000), Literary Theory: A Very Short Introduction (Oxford and New York: Oxford University Press), PP. 94-107.
[2] Culler, Jonathan (2007), the Literary in Theory (Stanford, California: Stanford University Press), P. 140.

J. L. Austin, *How to Do Things with Words* (Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 1975), 5, 6, 14, 54 - 70, 9, 22.

- نقاد الأدب:

Sandy Petrey, *Speech Acts and Literary Theory* (New York: Routledge, 1990).
Jacques Derrida, "Signature, Event, Context", *Margins of Philosophy* (Chicago University of Chicago Press, 1983) 307- 30.

- إعلان الاستقلال:

Jacques Derrida, "Declarations of Independence", *New Political Science*, 15 (Summer 1986),7 -15.

- معضلة "aporia":

Paul de Man, *Allegories of Reading* (New Haven: Yale University Press, 1979), 131.
Judith Butler, *Gender Trouble: Feminism and the Subversion of Identity* (New York Routledge, 1990), 136 - 41.
Judith Butler, *Bodies That Matter: on the Discursive Limits of "Sex"* (New York Routledge, 1993), 7, 22, 231 - 2, 226.

قراءات إضافية

- Jacques Derrida, *Limited Inc.* (Evanston, ILL: Northwestern University Press, 1988).
- Barbara Johnson, "Poetry and Performative Languge", *The Critical Difference: Essays in the Contemporary Rhetoric of Reading* (Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1980).
- Shoshana Felman, *The Literary Speech Act* (Ithaca, NY: Cornell University Press, 1983).

@ 2016 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.